

مكارم الأخلاق

في ضوء القرآن الكريم والسُّنَّة الصحيحة المطهرة

تأليف
سليم الهلالي

الناشر
دار ابن القيم للنشر والتوزيع
الدمام - السعودية

نحو أخلاق السَّلف

مكــارم الأَخــلاق
في
ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيمِ والسُّنَّةِ الصَّحِيحةِ المُطَهَّرَةِ

تأليف

سـليم الهـلالي

الناشـر
دار ابن القيم للنشر والتوزيع
الدمـام - السعوديـة

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ ـــ ١٩٨٨ م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيه وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنا وَمِن سَيِّئاتِ أَعْمَالِنا، من يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضْلِلِ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وأَشْهَدُ أَن لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحَدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه.

أما بعـد :

فَاعلَمُوا ـــ رَحِمَكُم اللهُ وَسَدَّدَ خُطَاكُم ـــ أَنَّ مكارِمَ الأَخلاقِ صِفَةُ الأَنبياءِ والصِّدِّيقين والصَّالِحين، وَأَنَّ سيِّىءَ الأَخلاقِ وَسَفْسافَها سُمُومٌ قَاتِلَةٌ تَنْخَرِطُ بِصَاحِبِها في سِلْكِ الشَّيطانِ، وَأَمْراضٌ تُفَوِّتُ سَعَادَةَ الأَبَد.

وَلِذَلِكَ بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ على فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ لِيُتَمِّمَ مَكارِمَ الأَخلاقِ وَصالِحَها، فَجاءَ بِأَخْلاقٍ رَبَّانِيَّةٍ مِن حَيْثُ

مَصْدَرُهَا وَغَايَتُها؛ فَمصدَرُها الوَحْيُ الإلٰهِيُّ: قرآنٌ وَسُنَّةٌ، وَغَايَتُها الله جَلَّ جَلالُهُ.

وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ مُتَعَرِّضِين لِثَمَرَتِها لا لِحَقِيقَتِهَا وَلَم يَسْتَوعِبُوا بَل ذَكَرَ كلٌّ مِّنْهُم ما حَضَرَهُ، لِذَلِكَ رَأَيْتُ ــ وَقَدْ قَسَت النُّفُوسُ في هٰذِهِ الأَعْصَارِ المُتَأَخِرَةِ ــ أَن أُشِيرَ إِلى جُمَلٍ مِن أُصولِ مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ في ضَوْءِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ خَيْرِ القُرُونِ وَمِنَ الله وَحْدَهُ أَطْلُبُ التَوفِيقَ والعَوْنَ.

وَأَرْجُو أَن يَجِدَ فِيها المُسْلِمُونَ عَلى ٱخْتِلاَفِ مَواقِعَهم خَيْرَ مُعينٍ وَأَهْدَى دَليلٍ يَهْدِي لِلَّتي هِيَ أَقْوَمُ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

وَلَسْتُ بِمُدَّعٍ بُلُوغَ الغَايَةِ بَل قُلْتُ ــ إِن أَحْسَنْتُ الظَّنَّ ــ خُطْوَةٌ فِي البِدَايَةِ؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلى تَوْفِيقِهِ وَهُدَاه، وَلاَ يَنْسَانا مِن صَالِحِ دُعَائِهِ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَأْلُ جُهْدًا فِي النُّصْحِ لأَنَ النُّصْحَ شِرْعَةٌ تَعبَدَنا الله بِهَا.

اللّهُمَّ تَقَبَّل مِنَّا وَٱجْعَلْنَا لِلمُتَّقِينَ إِمامًا وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَومَ لا يَنْفَعُ مَالٌ ولا بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ،

وَكَتَبَهُ

أَبو أُسَامَةَ سَلِيم بن عيد الهِلالِي

ضَحوةَ الخَمِيسِ لأَرْبَعَةَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ

مِنْ صَفَرِ الخَيْرِ سَنَةَ أَلْفٍ وَأَرْبعمائةٍ

وثمانٍ مِن هِجْرَةِ رَسولِ الله مُحَمَّدٍ ﷺ

في عَمَّان البلقاء عاصمة الأَرْدُن

١ ـ أنـواع الأخـلاق

الأَخلاق تنقسم إلى ضربين: محمود ومذموم؛ فالمحمود صفة الأَنبياء والمرسلين وبها وُصِفَ خاتم النَّبيين محمد ﷺ وبها تَمَيَّزَ صالحُ المؤمنين، ومنها:

الصِّدْقُ في الحديث.

والصَّبْرُ عند المكاره.

والحلمُ عند الجفاء.

والإنابةُ عند الخطأ.

والصَّفْحُ الجميلُ عند الإساءة.

والصِّلَةُ عند القطيعة.

والعفو عند الظلم.

والتَّثَبُّتُ في الأُمور.

والإحسانُ والتَّوَدُّدُ والرَّحْمَةُ والشَّفَقَةُ واللطفُ في المحاولة.

وسيِّىء الأَخلاق نقيضه.



٢ ـ مَكَارِمُ الأَخـلاق

هذه الكلمة الطيبة من باب إضافة الصفة للموصوف، وكل شيء يشرف في بابه يوصف به، ولما كان الكرم لباب الأَخلاق الفاضلة وُصِفَت الأَخلاق به وَشَرُفَت بالانتساب إليه.

وهذه الكلمة المباركة إذا وُصِفَ بها الإنسان فهي اسم جامع لأَوصافه وأَفعاله المحمودة التي تظهر على سلوكه، ويعامل غيره بها.

وذلك لأَن الخلق هو ما يأْخذ الإنسان به نفسه من الأَدب.

هذا هو الذي يسمى خُلُقًا لأَنه يصير كالخِلْقَةِ فيه.

وأَما ما طبع عليه الإنسان فهو الخِيم أَي السجية، فيكون الخُلُق هو الطبع المكتسب وذاك الطبع الغريزي.

قال الأعشى موضحًا هذا المعنى:

وإذا ذو الفضول ضَنَّ على المو

لى عادت لِخِيمها الأخلاق

أي رجعت الأخلاق إلى طبائعها.

٣ ـ مَكَارِمُ الأخلاَق مِن مُقوِّمَاتِ الأمَمِ

اعلم أخا الإيمان ــ أيدك الله بروح منه ــ أن الأخلاق الفاضلة من عناصر بقاء الأُمم عزيزة قوية.

ورحم الله أحمد شوقي القائل:

إنما الأُمم الأخلاق ما بقيت
فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لذلك فالأخلاق تؤثر على قيام المجتمع سلبًا وإيجابًا لأن الأخلاق أصل تقوم عليه أوامر الله في النفس البشرية، فإذا طُوِّعَت هذه النفس على الخُلُق الكريم والسلوك القويم فإنها لا شك راغبة في تعظيم شعائر الله والتزام منهجه.

ومَنْ أصدق من الله حديثًا فهو القائل:

﴿ذٰلك ومن يُعَظِّم شعائِرَ الله فإنَّها من تَقْوى القُلُوب﴾ [الحج: ٣٢].

والأخلاق الكريمة صلب الشريعة، وجماع الدين الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، فلا بُدَّ من تحقيقها في النفس المسلمة حتى تفلح، وتقوم على أمر الله.

وحسبك أن تعلم في هذا المقام الكريم أن الله سبحانه وتعالى بَيَّن آياته وَفَصَّلَها للناس لتستقيم على محاسن الأخلاق وصالحها فقال:

﴿كَذلِكَ يُبَيِّنُ الله آياتِهِ للنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١١٧].

وقال جلَّ ثناؤه:

﴿وَصَرَّفْنا فيه مِنَ الوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُون﴾ [طه: ١١٣].

وقال سبحانه وتعالى:

﴿قُرآنًا عَرَبيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُـون﴾ [الزمر: ٢٨].

ولما كانت هذه الحقيقة سُنَّةً كونيةً شَرْعِيةً فإن جميع المرسلين دعوا أقوامهم إلى تحقيقها.

فهذا نوح عليه السلام أول رسول إلى الناس يخاطب

قومه كما أَخبر عنه الله جلَّ جلاله:

﴿كَذَّبَتْ قَومُ نوحٍ المُرْسَلِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا الله وأَطِيعُونِ ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيهُ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلى رَبِّ العَالَمِين ، فَاتَّقُوا الله وأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٠٥ــ١١٠].

وهذا هود ينذر قومه بالأَحقاف قائلاً كما أَخبر عنه الله عزَّ وجلَّ:

﴿كَذَّبَتْ عادٌ المُرسلين ، إِذْ قَالَ لَهُم أَخُوهُمْ هودٌ أَلاَ تَتَّقُون ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا الله وأَطِيعُونِ ، وَمَا أَسأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ ، أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ أَيَةً تَعْبَثُونَ ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ، وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ، فَاتَّقُوا الله وَأَطِيعُونِ ، وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ، أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ، وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَومٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٢٣ــ١٣٥].

وكذلك صالح ولوط وشعيب و...

وَرُبَّ قائلٍ يقول: هذه آيات تَحُضُ على التَّقوى فما بال

الأَخلاق قد حشرت في معناها؟!

إن التَّقوى هي معين الأَخلاق الفاضلة تمدها فتُرى غضة طرية في حياة المؤمنين.

لقد كان رسول الله ﷺ أَحسن الناس خلقًا، وأَتقاهم لله وأَعلمهم به.

وبذلك تكون الأَخلاق الطيبة هي التقوى التي يراها المؤمنون خيرًا ونماءً وبركةً في حياة المجتمع الرَّبَّاني، وأَصلها ثابت في قلب المؤمن الذي يغذيها بخشية الله في السِّرِّ والعَلَن.

ولله ذر معروف الرصافي القائل:

هي الأَخلاق تنبت كالنبات

إذا سُقِيَت بماء المكرمات

لذلك ينبغي على كل داعية إلى الله على بصيرة أَن يولي قضية الأَخلاق اهتمامًا كبيرًا ــ ولكن ليس على حساب العقيدة والفقه ــ والمربي الناجح من أَعطى كل ذي حق حقه.



٤ ـ مكارمُ الأَخلاق ركنٌ من أركـانِ البِعْثَـةِ النَّبَوِيَّـةِ

ومما يؤكد هذه البدهية ويدمغ أوهام بعض الناس ـــ الذين نَصَّبوا أنفسهم دعاة لإعادة دولة الخلافة الراشدة ـــ أن النَّبَّي ﷺ قال:

«إنما بعثت لأتمم مكارم (وفي رواية: صالح) الأَخلاق»

حيث بَيَّن رسول الله ﷺ أن إحدى مهماته هي إرساء قواعد مكارم الأَخلاق وإتمام صالحها وبيان معاليها ألا يدل هذا كله على أن للأَخلاق دورًا هامًا في إنشاء مجتمع الخلافة الراشدة وأثرًا بارزًا لاستئناف الحياة الإسلامية.

وحسبنا في هذه العجالة هذا الحديث الكريم لتوضيح هذه الحقيقة ولكن ليعلم الموفق إلى اتباع سُنن الهدى أن هذا البيان النَّبوي هو تفصيل لآيات كريمة في كتاب الله المجيد، وهي قوله تعالى:

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

وقوله جلَّ ثناؤه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيهِمْ آيَاتِهِ وَيزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿هو الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]

أَليست التزكية تكون بمكارم الأَخلاق والاستقامة على صالحها والتمسك بمعاليها.

ولأَهمية الأَخلاق في حياة المجتمع المسلم كانت ركنًا في دعوة أَبينا إبراهيم ﷺ كما أَخبر الله عنه: ﴿وإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ۝ رَبَّنَا واجْعَلنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ

الرَّحِيمُ • رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِمُهُمْ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمْ﴾ [البقرة: ١٢٧ــ١٢٩].

هذه أيها المسلمون الدعاة مِسَلَّة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ووصيته لبناء أُمة مسلمة، ومن أَصدق من الله قيلاً: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ ٱصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وإِنَّهُ فِي الآخِرَةَ لَمِنْ الصَّالِحِينَ • إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ • وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ ٱصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠ــ١٣٢].

أَلا فليتق الله رجال سفهوا أَنفسهم واستخفوا أَتباعهم قرروا في «نظامهم» أَن الأَخلاق التي تزكي النفس البشرية لا تؤثر على قيام المجتمع بحال لأَن المجتمع يقوم على أَنظمة الحياة وتؤثر فيه المشاعر والأَفكار وأَما الخُلُق فلا يؤثر في قيام المجتمع ولا في رقيه أَو انحطاطه[1].

---

(١) **صحيح بشواهده** ــ أَخرجه البخاري في «الأَدب المفرد» (ص٤٢)، وأَحمد (٣٨١/٢)، والحاكم (٦١٣/٢)، وابن سعد في «الطبقات» =

....

= (١٩٢/١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١١٦٥)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق ومعاليها» (ص٢).
من طريق محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا.
وهذا إسناد حسن.
وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي ولكن محمد بن عجلان أخرج له مسلم متابعةً.
وللحديث شاهد أخرجه مالك في «الموطأ» (٩٠٤/٢) بلاغًا ومن طريق ابن سعد في «الطبقات» (١٩٣/١).
وله شاهد من حديث زيد بن أسلم مرسل، وشاهد آخر من حديث جابر بن عبد الله وفيه ضعف.

وفي الحديث فوائد ثرة منها:

١ ــ أن الإسلام دين يمحو الباطل ويقر الحق، وهذا ظاهر في كلمة لأتمم، فهو أقر العرب على مكارم الأخلاق التي عندهم، وأتمها بإزالة سيء الأخلاق.

وبذلك يتبين أن وصف الإسلام بأنه ثورة .. باطل، لأن الثورات ما تذر شيئًا أتت عليه إلا جعلته خرابًا يباباً سواء أكان صالحًا أم طالحًا.

٢ــ أن العرب كانوا قبل البعثة من أحسن الأمم أخلاقًا لأن عندهم بعض مكارم الأخلاق وهي التي ورثوها من شريعة إبراهيم عليه السلام، وكانوا قد ضلوا بالكفر عن كثير منها فبعث الله محمدًا ﷺ ــ وهو دعوة إبراهيم عليه السلام ــ ليتمم محاسنها وصالحها ببيان ما ضلوا عنه وبما قضى به في شرعه.



٥ ـ اقْتِرَانُ مَكَارِمِ الأَخلاقَ بِالقِيَمِ الإسْلاَمِيَّـةِ العُلْيَا

المتتبع للمواضع التي ذكرت فيها مكارم الأَخلاق في السُّنَّة الصحيحة يتضح له بجلاء لا يقبل الشك أَن مكارم الأَخلاق تبوأَت مكانًا عليًّا في الإسلام؛ فهي أَخلاق المؤمنين، وأَجل منازل الصالحين، وعروة من أَوثق عرى الإيمان، وباب سعادة المرء دنيا وآخرة.

وقد قرن الرسول ﷺ بين مكارم الأَخلاق وقيم الدين العليا، وأَخلاقه المثلى، ومثله الفضلى. واقتران الشيء بالشيء أَداة من أَدوات البلاغة الرائعة في الدلالة على المعاني وتثبيتها، من ذلك أَنه قرن مكارم الأَخلاق:

١ ـ ٥ ـ بالكَـــرَمِ:

فقال ﷺ: «إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالي

الأخلاق ويكره سفسافها»[٢].

وقال ﷺ: «إن الله كريم يحب الكرماء جواد يحب الجودة يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها»[٣].

٢ ـ ٥ ـ بالجَمَالِ:

فقال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها»[٤].

٣ ـ ٥ ـ بالجُودِ:

فقال ﷺ: «إن الله تعالى جواد يحب الجود ويحب

---

(٢) **صحيح** ـ أخرجه الحاكم (١/٤٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/٢٥٥ و ٨/١٣٣)، وابن حبان في «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص١٦)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق ومعاليها» (ص٣).
قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه شيخنا في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٣٧٨) وهو كما قالا.
والسَّفساف: الأمر الحقير الرديء وهو ضد المعالي والمكارم، وسميت الأخلاق المذمومة سفساف لرداءتها والتنفير منها والإضراب عنها.

(٣) «صحيح الجامع الصغير» (١٧٩٦).

(٤) المصدر السابق (١٧٣٩).

معالي الأُمور ويكره سفسافها»[٥].

٤ ـ ٥ ـ بالمَحَبَّـةِ الإلٰهِيَّـةِ:

فكل الأَحاديث السابقة ربطت مكارم الأَخلاق والقيم الإسلامية بالمحبة الإلٰهية وذلك لأَن حب الله لهذه الأَشياء هو رأْس الأَمر الذي تتفرع منه جميع الأَخلاق والفضائل والقيم.

---

(٥) المصدر نفسه (١٧٤٠).

٦ ـ النَّبي محمد ﷺ القدوةُ الحَسَنَة في مَكَارِمِ الأَخلاقِ

كان النبي ﷺ أُسوة حسنة تتحرك بين الناس بمكارم الأَخلاق يرونه قائماً على إتمامها خير قيام حتى استحق أَن يزكيه الله في كتابه ويشهد له فقال سبحانه وتعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقد اختلفت عبارات أَهل التفسير في تأْويل هذه الآية غير أَن أَعدل هذه الأَقوال وأَصحها ما ذكرته أُمُّ المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها عندما سئلت عن خلق زوجها رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»[٦].

(٦) **صحيح** ـ أخرجه مسلم (٦/٢٥ ـ نووي)، وأَبو داود (٢/٤٠)، والنسائي (٣/١٩٩)، والدارمي (١/٣٤٥)، وأَحمد (٦/٥٤، ٩١، ١١١، ١٦٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/٣٠٨)، والحاكم (٢/٤٩٩، ٦١٣)، وابن جرير الطبري (٢٩/١٣)، وابن =

ومعنى هذا أنه ﷺ صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا سجيةً له، وخُلُقًا تطبعه، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، فلم يذكر

= حبان (٤٦٧) من طرق متعددة عن سعد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها.

وله طرق أُخرى:

١ــ عن جبير بن نفير عنها

أخرجه أحمد (١٨٨/٦)، وابن جرير (١٣/٢٩)

قلت: وإسناده حسن

٢ــ عن الحسن قال سألت عائشة وذكره

أخرجه أحمد (٢١٦/٦)

وإسناده صحيح وقد صرح الحسن بالسماع.

٣ــ عن رجل من بني سوأه عنها

أخرجه ابن ماجه (٢٣٣٣)

إسناده ضعيف فيه رجل مبهم

٤ــ عن قتادة قال سألت عائشة وذكره

أخرجه ابن جرير (١٢/٢٩ ــ ١٣)

وإسناده منقطع لأن قتادة لم يدرك عائشة

٥ــ عن يزيد بن بابنوس عنها

أخرجه النسائي في «الكبرى» (٣٣٦/١٢ ــ تحفة الأشراف)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣٠٩/١)، والحاكم (٣٩٢/٢)

وإسناده فيه ضعف.

خلق محمود، ونعت جميل، إلا وكان للنَّبي ﷺ الحظ الأَوفر لأَنه ﷺ لم تكن له همَّة سوى الله تعالى فاجتمعت فيه مكارم الأَخلاق التي أُرسل لإِتمامها.

وبهذا يتبين أَن الخلق العظيم الذي وُصف به الرسول الكريم محمد ﷺ هو الدين الجامع لجميع ما أَمر الله به ونهى عنه مطلقًا، حتى صارت المبادرة إِلى امتثال ما يحبه الله ويرضاه، واجتناب ما يبغضه ويكرهه بطيب نفس وانشراح صدر.

٧ ـ النَّبِيُّ محمدٍ ﷺ حَريصٌ على مَكَارِمِ الأَخلاَقِ

كان رسول الله ﷺ جِدُّ حريص على مكارم الأَخلاق وصالحها.

ومن شدة حرصه لذلك وتطلبه كان دائم الابتهال إلى الله أَن يهديه لها ويثبته عليها.

قال ﷺ :

«اللهم اغفر ذنوبي وخطاياي كلها اللهم انعشني واجبرني اللهم اهدني لصالح الأَعمال والأَخلاق فإنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أَنت»(٧).

---

(٧) **حسن** ــ أَخرجه الحاكم (٣/٤٦٢)، والطبراني في «الصغير» (١/٢١٩) من طريق محمد بن الصلت ثنا عمر بن مسكين عن نافع عن ابن عمر عن أَبي أَيوب الأَنصاري مرفوعًا.
وهذا إسناد ضعيف لأَن فيه عمر بن مسكين. =

وكان ﷺ يلجأ إلى الله مستعيذًا من سيِّىء الأَخلاق ومنكراتها وسفسافها.

قال ﷺ :

«اللهم إني أَعوذ بك من منكرات الأَخلاق والأَعمال والأَهواء والأَدواء»[8].

فيا أخوتي في الله لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة فالزموا مكارم الأَخلاق التي جماعها أَن تَصِلُوا من قطعكم بالسلام والإكرام والدعاء له والاستغفار والثناء عليه والزيارة له، وتعطوا من حرمكم، وتعفوا عمن ظلمكم في دم أَو مال أَو عرض.

= وله شاهد من حديث أَبي أُمامة الباهلي أَخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص٣٩ ــ ٤٠).
وإسناده فيه ضعف لأَن فيه علي بن زيد بن جدعان.
والحديث حسن بمجموع الطريقين والله أَعلم.

(٨) **صحيح** ــ أَخرجه الترمذي (٣٥٩١)، والحاكم (٥٣٢/١) من طريق أَبي أُسامة ثنا مسعر عن زياد بن علاقة عن عمه وذكره مرفوعًا.
قلت: وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وعم زياد بن علاقة هو قطبة بن مالك رضي الله عنه صاحب النبي ﷺ.

واعلموا أحبائي في الله أن بعض هذه الأمور واجب، وبعضها مستحب.

اللهم إنا نسألك من خير ما سألك نبيك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه نبيك محمد ﷺ.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا في الإيمان والعلم والعمل الصالح، ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا.



٨ ـ الأَخلاقُ النَّبَوية المُعَطرةُ في الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ المُطَهَّرَةِ

مَنَّ الله على عبده ورسوله محمد ﷺ بتوفيقه إلى مكارم الأَخلاق ثم أَثنى عليه ونوه بذكر ما يتحلى به من جميل الأَخلاق في آيات كثيرة، وهاك بعضها:

١ ـ ٨ ـ الخُلُقُ العَظِيمُ:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] ولقد أَكد الله سبحانه وتعالى هذه الصفة بثلاثة أَشياء بالقسم عليه بالقلم وما يسطرون وتصديره بأَن وبإدخال اللام على الخبر وكلها أَدوات لتأْكيد الكلام.

٢ ـ ٨ ـ لين الجانب:

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَو كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ

وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ ٱتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

هذه الآيات خلق محمد ﷺ بعثه الله به فلو كان سيِّىء الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنه وتركوه ولكن الله جمعهم عليه وألاَنَ جانبه لهم تأْليفًا لقلوبهم.

وفي هذا بيان واضح أن لين الجانب، وخفض الجناح من أَسباب تأْليف القلوب، وتوحيد الصفوف.

قال المُفَضل الضبي :

وليس بفظٍّ في الأَداني والأُولى
يؤمون جدواه ولكنه سهل
وفَظٌّ على أَعدائه يحذرونه
فسطوته حتف ونأبله جزل

٨-٣ - الرأفة والرَّحمة على المؤمنين:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنينَ رَؤوفٌ رَّحيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

لقد كان محمد ﷺ في غاية الشفقة على أُمته؛ فهو حريص على المؤمنين أَن يدخلوا الجنة، يشق على نفسه أَن يدخلوا جهنم، يعز عليه ما يسبب لهم العنت، ولهذا أَرسله الله سبحانه وتعالى بالحنفية السمحة ليلها كنهارها، شريعة كلها سماحة وسهولة يسيرة لمن يسرها الله عليه[٩].

٨-٤ - الحُزْنُ على المشركين لِتَرْكِهُمُ الإيمان:

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لِمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفَا﴾ [الكهف: ٦].

وقال العليم الحكيم: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنينَ﴾ [الشعراء: ٣].

---

(٩) انظر لزامًا رسالتي: «السَّمَاحَة في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة» طبع المكتبة الإِسلامية ــ عمان / الأردن.

وقال جَّل جلاَلُه: ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر: ٨٨].

وقال جلَّ ثناؤه: ﴿فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيهِمْ حَسَرَات إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

كان رسول الله ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين حريص أشد الحرص أن يدخل الناس في دين الله أفواجًا لينقذهم من النار، لكن كثير من الناس أبوا فيحزن الرسول ﷺ حزنًا شديدًا ويتحسر.

فينزل الله سبحانه وتعالى هذه الآيات مسلّياً نبيه في حزنه على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه.

فلا تهلك نفسك يا محمد ــ ﷺ ــ غضبًا وحزنًا وجزعًا عليهم، وإنما تبلغهم رسالة الله فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فعليها.

هذه الصفات البارزة في شخصية الرسول ﷺ أثبتها الله في كتابه المجيد آيات تتلى آناء الليل وأطراف النهار؛ لتكون نبراسًا لمن اتخذ محمدًا أسوة حسنة في الدعوة إلى الله على بصيرة؛ فورث عنه مكارم الأخلاق.

هذه الشمائل النَّبوية هي مقومات ودعائم مجتمع

الصحابة الذي رفع قواعده محمد ﷺ.

هذه الأَخلاق النبوية هي التي أَلَّف الله بها بين الأَعداء فأَصبحوا بنعمة الله إخوانًا.

فيا أَحبائي في الله ويا إخوتي في الإيمان بمثل هذه الصفات تَخَلَّقُوا، وبها اعملوا، وفي ميدانها تنافسوا.

٩ ـ الصَّحَابَة رضي الله عنهم
يَصِفُونَ أَخلاَقَ النَّبِيِّ ﷺ

لما بعث الله جل جلاله محمدًا ﷺ إلى الثقلين بالهدى ودين الحق زاده بسطة في هذه الأَخلاق الحميدة حتى بلغ الكمال البشري.

وقد اختار الله لنبيه أَصحابًا هم خير قرون هذه الأُمة المحمدية التي هي خير الأُمم بلغوا دعوته وحفظوا سنته وورثوا عنه ﷺ مكارم الأَخلاق ونقلوها لمن بعدهم حتى جاء رجال صنعهم الله على عينه وغرسهم بيده واستعملهم بطاعته فدونوا هذه الدرر الثمينة بواسطة السلاسل الذهبية المتصلة.

وقد اعتنى هؤلاء الجهابذة بتدوين سُنَّة النَّبِيِّ ﷺ عمومًا وبما يتعلق بأَخلاقه ومزاياه خصوصًا، فمنهم من عقد لها أَبوابًا ضمن مؤلفاته ومنهم من أَفردها بالتصنيف والتأْليف

وأورد فيها كل ما يتصل بخوفه ﷺ من الله وخشيته وجوده وكرمه وإيثاره وحيائه ووفائه وصدقه وأمانته وتواضعه وشكره وصبره وحلمه وعفوه وصفحه وشجاعته وعدله وزهده وقناعته وصلته للرحم وكثرة تبسمه وعفته وغيرته، إلى جميع آحاد حُسن خلقه ﷺ.

وها نحن نكتفي بإيراد بعض أقوال أصحابه مثل زوجاته وخدمه الذين كانوا أقرب الناس إليه وألصقهم به:

١ ـ ٩ ـ قالت: السيدة عائشة بنت الصديق وزوج النَّبي ﷺ:

«لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا[١٠] ولا متفحشًا[١١] ولا صخَّابًا[١٢] بالأسواق ولا يجزي بالسيئة ولكن يعفو ويصفح»[١٣].

---

(١٠) الفاحش: ذو الفحش في طبعه.

(١١) المتفحش: متكلف الفحش.

(١٢) صَخَّاب: شديد الصوت.

(١٣) أخرجه الترمذي (٢٠١٦)، والطيالسي (٢٤٢٣ ــ منحة المعبود)، وأحمد (٦/١٧٤، ٢٣٦، ٢٤٦)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق ومعاليها» (ص١١) من طريقين عن أبي إسحاق الشيباني قال سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول سألت عائشة رضي الله عنها عن خلق =

٢ ـ ٩ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

«خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي: أُفٍّ[١٤] قَطُّ، وما قال لي لشيء صنعته: لِمَ صنعته؟ ولا لشيء تركته: لِمَ تركته؟ وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا، ولا مَسَسْتَ خزاً[١٥] ولا حريرًا ولا شيئًا أَلين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكًا قطُّ ولا عطرًا كان أَطيب من عرق النَّبِيِّ ﷺ»[١٦].

وفي هذه الأَحاديث بيان كمال خلقه ﷺ، وحسن عشرته التي كان منها ترك العتاب على ما فات، لأَن هناك

= رسول الله ﷺ وذكره.

قلت: وهذا إسناد صحيح.

ولشطره الأَول شاهد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أَخرجه الشيخان وغيرهما.

(١٤) كلمة تبرم وملال تقال لكل ما يتضجر منه.

(١٥) ثياب مصنوعة من صوف وحرير.

(١٦) أَخرجه البخاري (١٠/٤٥٦ ـ الفتح)، ومسلم (١٥/٦٩ ـ نووي)، وأَبو داود (٤٧٧٤)، والترمذي (٢٠١٥)، وصححه ووافقه البغوي الذي أَخرجه من طريقه (٣٦٦٤)، والدارمي (١/٣١).

مندوحة عنه باستئناف الفعل إذا احتيج إليه.

ولعل هذا الخلق النَّبوي يكون منارًا للدعاة إلى الله إذا رأَوا من إخوانهم هفوة، وزلة قدم فلا يبتدرونهم بالعتاب، لأَنه يذهب الأَصحاب، ويفسد الأَحباب،

ولله در البهاء الزهير القائل:

من اليوم تعارفنا
ونطوي ما جرى منا
ولا كان ولا صار
ولا قلتم ولا قلنا
وإن كان ولابد
من العتب فبالحسنى
لقد قيل لنا عنكم
كما قيل لكم عنا
ومن الأَحسن أَن نرجع
للوصل كما كنا

١٠ ـ مكارمُ الأَخلاق دَليلٌ
من دَلائلِ النُّبُوةِ وَصِدْقِ الرِّسَالَةِ

كان الرسول ﷺ قبل البعثة وحمل الرسالة في الذروة السامقة من الأَخلاق صدقًا وأَمانةً وكرمًا وحلمًا وشجاعةً وعفةً وقناعةً وصلةً للرحم والتي من أَجلها تبوأَ مكانة الإجلال والاحترام بين قومه.

١ ـ ١٠ ـ وها هي زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها تصفه عندما أَخبرها بنزول الوحي عليه :

ويقول: «لقد خشيت على نفسي» فقالت: «كلا والله ما يخزيك الله أَبدًا إنك لتصل الرحم وتحمل الكَل وتكسب المعدم وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر»(١٧).

بأُصول مكارم الأَخلاق وصفته خديجة بنت خويلد

---

(١٧) أُخرجه البخاري (٢٣/١ ــ الفتح)، ومسلم (١٩٧/٢ ــ ٢٠٤).

رضي الله عنها وبها استدلت على صدقه وأن أمثاله لن يخزيهم الله أبدًا فهو معهم ينصرهم ويعينهم.

وبذلك نجزم أن مكارم الأخلاق سبب في تأييد الله ونصره لعباده المؤمنين.

قال النووي رحمه الله في «شرح صحيح مسلم» (٢٠٢/٢):

(قال العلماء رضي الله عنهم معنى كلام خديجة رضي الله عنها أنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل، وذكرت ضروبًا من ذلك وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء).

٢ـ١٠ـ وها هي قبيلته تشهد له بمكارم الأخلاق وصدق الحديث:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا إليه فقال: «يا بني

فلان يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا إليه فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا قال: فإني نذير لكم بين عذاب شديد»[١٨].

بمكارم الأخلاق يستدل الرسول على صدق دعواه وصحة رسالته فلا جرم أن تكون مكارم الأخلاق وصالحها لباب دين الإسلام.

---

(١٨) أخرجه البخاري (٨/٥٠١ و ٧٣٧)، ومسلم (٣/٨٢ ــ ٨٣ ــ نووي)، وأحمد (١/٣٠٧).

١١ ـ أَخلَاقُ الصَّحَابَةِ
رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

لا يشك من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن أصحاب محمد ﷺ الذين تبوؤا الدَّار والإيمان، وورثوا عن الرسول ﷺ مكارم الأخلاق ومعاليها، هم نجوم الاهتداء، وأئمة الاقتداء.

١ ـ ١١ ـ الرَّحْمَة والرِّقَّة:

قال تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال جلَّ ثناؤه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

هكذا يكون المؤمنون الكُمَّل يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم، متعاطفون متوادون.

يكون أحدهم متواضعًا لأخيه موطأ الأكناف ضحوكًا بشوشًا في وجهه.

وبهذه الصفة الخُلُقِيَّة العظيمة يكتمل بنيان مجتمع الصحابة الذي يشد بعضه بعضًا بالأُلفة والرأفة والرحمة ولين الجانب وخفض الجناح للمؤمنين.

قال ﷺ:

«مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»[19].

قال الحافظ في «فتح الباري» (١٠/٤٣٩):

(قال ابن أبي جمرة[20]: الذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف، فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضًا بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي، وأما التعاطف

---

(١٩) أخرجه البخاري (١٠/٤٣٨ ـ الفتح)، ومسلم (١٦/١٤٠ ـ نووي)، وغيرهما من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢٠) هو عبد الله بن أبي حمزة الأندلسي، وانظر قوله في كتابه: «بهجة النفوس» (٤/١٥٧ ـ ١٥٩).

فالمراد به إعانة بعضهم بعضًا كما يعطف الثوب عليه ليقويه) .ا.هـ وملخصًا.

قلت: التوادد سبب التراحم، والتعاطف مظهر التراحم، وبذلك يكون الرسول ﷺ ذكر سبب التراحم وثمرته، وفي هذا دليل على ما أُعطي لمحمد ﷺ من الفصاحة والبلاغة وجوامع الكلم، وحسبك دليل هذا التشبيه الفصيح حيث شبه الرسول ﷺ المجتمع الإيماني الرباني بالجسد الواحد، ليدلل على قوة وشائج التواصل بين المسلمين، ومتانة أَواصر أُخوة المؤمنين.

٢ ـ ١١ ـ الغِلْظَـة عَلَى الكُفَّـارِ:

قال تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩].

قال جلَّ جلاله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ الكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].

المسلم شديد عنيف على الكفار يظهر العزة من نفسه

له ويبدي الغلظة على خصمه وعدوه في الدين.

واعلم أخا الإيمان أن الشِّدة لا تصدر إلا عن الغضب ولو بَطَلَ الغضبُ لامتنع جهاد الكفار، وفي هذا دليل آخر يثبت أنه ليس المقصود في الدين قمع هذه الصفات بالكلية وإنما الاعتدال، ألم تر أن الله وصف المؤمنين فقال: ﴿والكَاظِمِينَ الغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] ولم يقل الفاقدين الغيظ.

وفي هذا بيان أن المسلم يغضب إذا أصابه البغي وانتهكت حرمات الله ولا يغضب لنفسه بل يعفو ويصفح ويغفر.

٣ ـ ١١ ـ الرُّجُولَــة:

قال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا والله يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وقال جلَّ جلاله: ﴿رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله وإِقَامِ الصَّلاةِ وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَومًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

وقال عزَّ ثناؤه: ﴿مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

الرجولة صفة كمال ترقى بالمجتمع المسلم إلى درجة الاستقامة والاستقرار لأن العلاقة بين الذكر والأنثى تكون منظمة مرتبة كما قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤].

ولينظر الشاك في هذه الحقيقة إلى واقع المسلمين المعاصر فعندما استنوق الرجال طغت النساء وكثر الخبث.

ولله در القائل:

ما كانت العذراء تبدي سترها

لو كان في هذه الجموع رجال

نعم لقد كان أصحاب محمدٍ ﷺ يريدون أن يتطهروا من أدران الجاهلية ولم تلههم أموالهم وأولادهم ونساؤهم عن ذكر الله ولكنهم لم يكونوا جفاة غلاظًا فيما بينهم بل كانوا رحماء بينهم.

ولقد كانوا يتبادحون بالبطيخ فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال[٢١].

(٢١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص٤١) بإسناد صحيح.
* **غريب الحديث:**
يتبادحون: أي يتضاربون بشيء فيه رخاوة كالبطيخ.

١٢ ـ مَكارِمُ الأَخلاَق
صِفَةُ المُؤْمِنِينَ الكُمَّلِ الخُلَّصِ

قال ﷺ:

«أَكمل المؤمنين إيمان أَحسنهم خلقًا»[٢٢].

---

(٢٢) **صحيح بشواهده** ـــ من حديث أَبي هريرة رضي الله عنه وله عنه ثلاث طرق:

الأُولى: عن محمد بن عمرو حدثنا أَبو سلمه عنه به

أَخرجه الترمذي (١١٦٢)، وأَبــو داود (٤٦٨٢)، وأَحمد (٢/٢٥٠ و ٧٤٢)، وابن حبان (١٩٢٦ ـــ موارد)، وابن أَبي شيبة في «الإيمان» (فقرة ١٧ ، ١٨)، و«المصنف» (٨/٥١٥)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/٧٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/٢٤٩)، وابن جميع الصيداوي في «معجم الشيوخ» (ص٢٣٤)، وأَبو نعيم في «الحلية» (٩/٢٤٨)، والحاكم (١/٣)، وقال: وهو صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي (!)

قلت: بل هو حسن لأَن محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث كما صرح بذلك الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/١٢٨)، ولم يخرج له مسلم إلا متابعةً كما صرح بذلك الذهبي في «الميزان» =

وقال ﷺ:

«خياركم أحاسنكم أخلاقًا»[٢٣].

= (٦٧٣/٣)، و«التلخيص على المستدرك» (٦/١).

الثانية: عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عنه به أخرجه ابن حبان (١٣١١) ورجاله ثقات غير المطلب فهو صدوق كثير التدليس والإرسال وقد عنعنه.

الثالثة: عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عنه به.

أخرجه أحمد (٥٢٧/٢)، والدارمي (٣٢٣/٢)، والبيهقي (١٩٢/١٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥١٦/٨)، و«الإيمان» (فقرة ٢٠)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١١٠/٢)، والحاكم (٣/١)

قلت: وهذا إسناد حسن لأن محمد بن عجلان صدوق أخرجه له مسلم متابعةً.

والحديث بهذه الطرق صحيح.

وفي الباب عن عائشة وجابر بن سمرة وأبي سعيد الخدري وأنس وعبد الله بن عمرو وعمير بن قتادة وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عبيد بن عمر عن أبيه عن جده وأبي ذر.

وبذلك يجزم الواقف على أحاديثهم أنها متواترة كما بينت ذلك في تخريج «الوصية الصغرى» (٣٩ ــ ٤٠).

(٢٣) أخرجه البخاري (٤٥٦/١٠ ــ الفتح)، ومسلم (٧٨/١٥ ــ نووي) وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وقال ﷺ:

«أَفضل المؤمنين أَحسنهم خلقًا»[٢٤].

---

(٢٤) أخرجه الحاكم (٤/٥٤٠) بإسناد حسن من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وله طرق يرتقى بها إلى درجة الصحة انظر تخريج «الوصية الصغرى» (٣٩ ــ ٤٠).

١٣ ـ فَضَائِلُ مَكَارِمِ الأَخلاَقِ

١ ـ ١٣ ـ مَكَارِمُ الأَخْلاَقِ مِنَ أَعْمَالِ الجَنَّةِ:

فهي من الأعمال المقربة للجنة الموصولة إليها المورثة الفردوس الأعلى.

قال ﷺ:

«أنا زعيم[٢٥] ببيت في ربض[٢٦] الجنة لمن ترك المِراء[٢٧] وإن كان محقًا مازحًا وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»[٢٨].

---

(٢٥) زعيم: ضامن.

(٢٦) ربض الجنة: أدناها؛ وربض المدينة ما حولها.

(٢٧) المراء: أصله من مَريب الناقة إذا استخرجتِ ما في ضرعها، وهو المنازعة في القول والعمل بقصد الباطل فإن كان بقصد الحق فهو جدال.

(٢٨) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠)، والمزي في «تهذيب الكمال» من طريق أبي الجماهر محمد بن عثمان قال: حدثنا أبو كعب السعدي قال: حدثنا سليمان بن حبيب المحازي عن أبي أمامة وذكره. =

عن أبي هريرة رضي الله عنه:

سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: «تقوى الله وحسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: «الفم والفرج»[٢٩].

= **قلت**: وهذا إسناد حسن لأن أبا كعب السعدي وهو أيوب بن موسى السعدي البلقاوي روى عنه أبو الجماهر ووثقه وقال الحافظ في «التقريب»: صدوق.

وللحديث شواهد أخرى:

١ــ حديث ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٢٩٠) وإسناده ضعيف لأن فيه أبا حاتم سويد بن إبراهيم.

٢ــ حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أخرجه الطبراني في «الصغير» (٢/١٦) وإسناده ضعيف.

٣ــ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه الترمذي (١٩٩٣) وإسناده ضعيف لأن فيه سلمة بن وردان.

(٢٩) أخرجه الترمذي (٢٠٠٣)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وأحمد (٢/٢٩١، ٣٩٢، ٤٤٢)، وابن حبان (١٩٢٣ ــ موارد)، والبغوي في «معالم التنزيل» (٤/٣٧٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/٧٩ ــ ٨٠)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص١٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٤٢) من طرق عن يزيد بن داود الأودي عنه به.

وهذا إسناد حسن، فإن يزيد بن عبد الرحمن الأودي وثقه العجلي وابن حبان وروى عنه جماعة.

٢ـ١٣ـ مَكَارِمُ الأَخلاق سَبَبٌ في مَحَبَّةِ الله ـ جلَّ جلاله ـ لِعَبْدِهِ:

قال ﷺ:

«أَحب عباد الله إلى الله أَحسنهم خلقًا»(٣٠).

٣ـ١٣ـ مَكَارِمُ الأَخلاق مِن أسبابِ مَحَبَّةِ الرَّسُولِ ﷺ:

قال ﷺ:

«إِن من أَحبكم إِلَيَّ وأَقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أَحاسنكم أَخلاقًا»(٣١).

---

(٣٠) **صحيح** ــ أَخرجه الطبراني (٤٧١)، والحاكم (٤/٣٩٩ ــ ٤٠١) من طرق عن زيد بن علاقة ثنا أُسامة بن شريك وذكره.

(٣١) **صحيح لغيره** ــ أَخرجه الترمذي (٢٠١٨)، والخطيب في «تاريخه» (٤/٦٣) من طريق مبارك بن فضالة ثني عبد ربه بن سعيد عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعًا.

وهذا إسناد حسن لأَن مبارك بن فضالة صدوق يدلس وقد صرح بالتحديث.

وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو أَخرجه أَحمد (٢/١٨٩) بإسناد صحيح على شرط الستة.

٤ ـ ١٣ ـ مَكَارِمُ الأَخلاق أَثقَلُ شيءٍ فِي الميزانِ يوم القِيامَةِ:

قال ﷺ:

«ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق»[٣٢].

٥ ـ ١٣ ـ مَكَارِمُ الأَخلاق تُضاعِفُ الأَجْرَ والثوابَ:

قال ﷺ:

«إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار»[٣٣].

---

(٣٢) **صحيح** ـ أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، وأحمد (٦/٤٤٦) و ٤٤٨)، وابن حبان (٤٨١) وغيرهم من طريق شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن عطاء الكيخاراني عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: فذكره.
وهذا إسناد صحيح.

(٣٣) **صحيح** ـ أخرجه أبو داود (٤٧٩٨)، والحاكم (١/٦٠) وغيرهما من طريق عمرو بن عمرو عن المطلب بن عبد الله بن حنظب عن عائشة مرفوعًا.
قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وهو كما قالا إن ثبت سماع المطلب عن عائشة ونرجو ذلك.
وفي الباب عن أبي أمامة وأبي هريرة وأنس.

وقال ﷺ:

«إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصَّوَّامِ القَوَّامِ بآيات الله عزَّ وجلَّ لكرم ضريبته وحسن خلقه»(٣٤).

٦ ـ ١٣ ـ مَكَارِمُ الأخلاق مِن خيْرِ أعمالِ العِبَادِ:

قال ﷺ:

«يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر وأثقل في الميزان من غيرهما» قال: بلى يا رسول الله، قال: «عليك بحسن الخلق وطول الصمت فوالذي نفس محمدٍ بيده ما عمل الخلائق بمثلهما»(٣٥).

---

(٣٤) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٢/١٧٧ و ٢٢٠) من طرق عن ابن لهيعة أخبرني الحارث بن يزيد عن ابن حجيره الأكبر عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا.
وهذا إسناد رجاله ثقات، وابن لهيعة وإن كان ساء حفظه إلا أن هذا الحديث رواه عنه عبد الله بن المبارك في الموضع الثاني.
ورواية العبادلة عن ابن لهيعة صحيحة لأنه سمع منه قديمًا كما بَيَّنته في رسالتي «الحصُون المنيعة في تصحيح رواية العبادلة عن ابن لهيعة».
وقد غفل عن هذا المنذري والهيثمي فأعلا الحديث به.

(٣٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (١١٢ و ٥٥٤)، والبزار =

٧ ـ ١٣ ـ مَكَارِمُ الأَخلاق تَزَيدُ فِي الأَعمارِ:

٨ ـ ١٣ ـ مَكَارِمُ الأَخلاق تُعَمِّر الدِّيَارَ:

قال ﷺ:

«حسن الخلق وحسن الجوار يُعِمِّرَان الدِّيار ويزيدان في الأعمار»[٣٦].

= (٤/٢٢٠ ـ كشف الأستار) وغيرهما.

والحديث حسن بشواهده كما وضح ذلك شيخنا في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٩٣٨).

وفي الباب عن أسامة بن شريك وحديثه صحيح.

(٣٦) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٦/١٥٩) ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا محمد بن مهزم عن عبد الرحمن بن القاسم ثنا القاسم عن عائشة أن النَّبيِّ ﷺ قال لها: «إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم و...» الحديث.

وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

١٤ ـ شُرُوطُ مَكَارِمِ الأخلاقَ

علمت أخا الإيمان أن مكارم الأخلاق من أفضل القربات وأعظم الطاعات التي ينال بها العبد رضوان الله جلَّ جلاله ويحظى بمحبته ومحبة رسوله.

لذلك ينبغي أن تعلم شروط هذه العبادة لكي تتميز عن العادة وخاصة في هذا الزمان الذي أصبحت فيه الأخلاق عادات خاوية لا روح فيها.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا: «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السُّنَّة» وحدثنا عن رفعها قال: «ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت[٣٧] ثم ينام النومة فتقبض فيبقى فيها أثرها مثل أثر

---

(٣٧) الوكت: سواد يسير يحدث مخالف للون الذي قبله.

المجل[٣٨] كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتَبراً[٣٩] وليس فيه شيء ويصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة فيقال: إن في بني فلان رجلاً أمينًا ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه متقال حبة خردل من إيمان» ولقد أتى عليَّ زمان ولا أُبالي أيكم بايعت لئن كان مسلمًا رده عليَّ الإسلام وإن كان نصرانيًّا رده عليَّ ساعيه وأما اليوم فما كنت أُبايع إلا فلانًا وفلانًا[٤٠].

إن هذا الرجل الذي يوصف من قبل الناس بمكارم الأخلاق ليس عنده من الإيمان حبة خردل لأنه تصنَّع أمام الناس ولم يبتغ مرضاة الله ولم يقتف أثر رسول الله ﷺ.

وهاك شروط مكارم الأخلاق لتحظى بالقبول وحب الله والرسول.

---

(٣٨) المجل: هو التنقيط الذي يحدث في اليد نتيجة العمل بفأس ونحوها ويصير كالقبة فيه ماء قليل.

(٣٩) منبتر: مرتفع.

(٤٠) أخرجه البخاري (١١/٣٣٣ و ١٣/٣٨ ، ٣٤٩)، ومسلم (٢/١٦٧ ـــ ١٧٠ ـــ نووي) وغيرهما.

١ ـ ١٤ ـ الإخــلاصُ لله:

وهذا شرط في كل عمل وعبادة وإلا كان صاحبه من الذين يظنون أنهم يحسنون صنعًا وهم في الحقيقة من الأخسرين أعمالاً.

٢ ـ ١٤ ـ الفِقْــهُ:

وهو معرفة مراد الله ورسوله لموافقته.

قال ﷺ:

«خياركم إسلامًا أحاسنكم أخلاقًا إذا فقهوا»[٤١].

---

(٤١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص٤٣ ــ ٤٤)، وأحمد (٤٦٧/٢ و ٤٦٩ و ٤٨٢) من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة مرفوعًا.
قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

١٥ ـ عَلامَـاتُ مَكَـارِمِ الأَخـلاَق

اعلم أخا الإسلام أن الأعمال الصالحة تصدر عن الأخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه وليصبر ذو العزم على مضض هذا الأمر فإنه يحلو كما يحلو الفطام للطفل بعد كراهته له فلو رُدَّ إلى الثَّدي لكرهه ومن علم قصر العمر تحمل مشقَّة السفر ليستريح الأبد فعند الصباح يحمد القوى السرى.

ولكن ربما جاهد المرء نفسه على ترك سيّء الأخلاق وسفسافها. ثم ظن أنه قد بلغ المقصود واستغنى عن المجاهدة وليس كذلك، فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على مجموع صفات المؤمنين المذكورة في القرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة فوجودها علامة حسن الخلق وفقد جميعها دليل سوء الخلق وإن وجد بعضًا وفقد أشياء فليشتغل بحفظ ما وجد وتحصيل ما فقد.

وقد وصف الرسول الكريم ﷺ المؤمن بصفات وأشار

أنها علامات مكارم الأَخلاق منها:

١ ـ ١٥ ـ احتمـال الأَذَى:

عن أَنس رضي الله عنه قال: كنت أَمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأَدركه أَعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أَثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أَمر له بعطاء[٤٢].

تأَملوا رحمكم الله ما في هذا الخبر من ذكر ما أتى به من أَخلاق الرسول الشريفة العليَّة، الكريمة الرضية، وحلمه وصبره على الأَذى في النفس والمال والتجاوز على جفاء من يريد تألُّفه على الإسلام، ومن أولى بذلك مِمَّن القرآن العظيم أَدبُه ومنزل الوحي الحكيم مُؤَدِّبُه.

لقد كان الرسول الكريم ﷺ القدوة في مكارم الأَخلاق نبلاً ومجدًا وفضّلا وجدًّا، فأكرم بنفسه السمحة

---

(٤٢) أخرجه البخاري (١٠/٣٧٥ ، ٥٠٣)، ومسلم (١٠٥٧).

الزكية الشريفة الأبية وسجاياه السهلة الرضية وعطاياه الفاضلة السنية.

اللهم فلك الحمد على توفيقك إيانا لتصديقه، وهدايتك لنا به.

اللهم فاسعدنا باتباع سنته، والثبات على أثره، والتحلي بخلقه.

٢ ـ ١٥ ـ حُبُّ الخيْرِ لِلمُسْلِمِينَ:

قال ﷺ:

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه [من الخير]»[٤٣].

من كمال خلق المسلم أن يحب لأخيه من الخير مثلما يحب لنفسه، وكذا من الإيمان أن يبغض لأخيه ما يبغض

---

(٤٣) أخرجه البخاري (١/٥٦ ـ ٥٧ ـ الفتح)، ومسلم (٢/١٧ ـ نووي) وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه.
وما بين معكوفتين زيادة صحيحة عند أبي عوانة (١/٣٣) وأحمد (٣/٢٠٦، ٢٥١ ، ٢٨٩) من طرق عن قتادة عن أنس مرفوعًا.

لنفسه، ولم يذكره إما لأَن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه فيدخل تحت ذلك وإما لأَن الشخص لا يبغض شيئًا لنفسه فلا يحتاج إلى ذكره قاله الكرماني في «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» (١/٩٥) وأَقرَّه الحافظ في «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١/٥٨) وشيخنا الأَلباني في «سلسلة الأَحاديث الصحيحة» (١/١/١١٤).



١٦ - أُمُورٌ تُعِينُ عَلَى التَّحَلِّي بِمَكَارِمِ الأَخلاَقِ

إن إدراك حقيقة الأَخلاق في الإسلام تعين العالم والمتعلم، وقد اختلف العلماء الربانيون الذي يُعلِّمون الناس الخير في حقيقة الخلق فذهب بعضهم إلى أَنه غريزة وذهب الآخرون إلى أَنه مكتسب.

قال الحافظ في «الفتح» (١٠/٤٥٩):

(وقد وقع في حديث الأَشج العصري عند أَحمد والنسائي والبخاري في «الأَدب المفرد» وصححه ابن حبان أَن النَّبيَّ ﷺ قال: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة» قال: يا رسول الله قديمًا كانا فيّ أَو حديثًا؟ قال: «قديمًا». قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما.

فترديده السؤال وتقريره عليه يشعر بأَن في الخلق ما هو جِبلي وما هو مكتسب).

ونقل النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٥/٧٩) عن القاضي عياض قوله: (والصحيح أن منه ما هو غريزة ومنه ما يكتسب بالتخلق والاقتداء بغيره والله أعلم).

قلت: ما حكاه هذان العالمان هو الفصل في هذا الخلاف فإن الأخلاق قابلة للتغيير فلو لم تكن تقبل التغيير لم يكن للمواعظ والوصايا معنى، وكيف لا تقبل التغيير ونحن نرى الوحوش تستأنس والفرس تُروَّض وكلب الصيد يُعلَّم إلا أن بعض النفوس سريعة القبول للصلاح وبعضها مستصعبة.

واعلم أيها الأخ الأصفى والصديق الخالصة الأوفى أن المطلوب من تهذيب الأخلاق الاعتدال الذي هو الوسط بين الإفراط والتفريط.

لذلك فإن قمع الخلق الغريزي بالكليَّة لا يستقيم ومقاصد الشريعة السمحة؛ كيف وهذه الغريزة إنما خُلِقت لفائدة ضرورية في التكوين الإنساني، فلو انقطعت غريزة الطعام لهلك الإنسان أو غريزة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب لم يستطيع الإنسان دفع المكروه عن نفسه.

وهذه البدهيات في تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس

وتقويم السلوك عُلِمت باستقراء الشريعة السمحة، وتفصيل ذلك:

أَن المطلوب في غريزة الطعام الاعتدال دون الشره والتقلل قال تعالى: ﴿وكلوا وآشربوا ولا تسرفوا﴾ [الأَعراف: ٣١].

والإنفاق خلق مطلوب وهو بين الإسراف والتقتير، قال تعالى: ﴿والذين إذا أَنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ [الفرقان: ٦٧].

والسخاء والكرم والجود وسط بين البخل والتبذير قال جلَّ جلاله: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

وهناك ثمة أُمور تكسب هذا الاعتدال فدونك إياها:

١ - ١٦ - حَمْلُ النَّفْسِ عَلَى مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ فإِنَّ النَّفْسَ قَابِلَةَ لذلك إن رُوِّضَت عَلَى الأَعْمَالِ الجَالِبَةِ للخُلُق المَطْلُوب:

ولله در أَبا ذؤيب الهذلي القائل:

والنفس راغبة إذا رغبتهـا
وإذا ترد إلى قليل تقنـع

وسر ذلك أَن النفس البشرية كالطفل يشب على حب الرضاع ولكنه قابل للفطامة.

٢ ـ ١٦ ـ التشبُّه بِأَرْبَابِ الخِصَالِ الجَمِيلَةِ والأخلاق الحَمِيدَةِ:

فمن أَراد تحصيل خلق الجود فليتكلف فعل الجواد من البذل ليصير ذلك طبعًا له.

وكذلك من أَراد التواضع تكلف أَفعال المتواضعين حتى تنعطف على قلبه صفة التواضع وخفض الجانب والقول واحد في جميع الأَخلاق المحمودة فإن للعادة أَثرًا في ذلك إلا أَنه لا ينبغي طلب تأْثير ذلك في بضعة أَيام وإنما يحصل ذلك بالدوام، وللدوام تأْثير عظيم، لأَن قليل الطاعات دوامها يؤثر بسبب تعاطي أَسبابها حيث تتأَثر النفس وتغير من طباعها.

قال ﷺ:

«إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يَتوق الشر يوقه»[٤٤].

---

(٤٤) أَخرجه الخطيب في «تاريخه» (١٢٧/٩) من حديث أَبي هريرة رضي =

٣ - ١٦ - مُصَاحَبَةَ أَهْلِ الخَيْرِ وَقُرَنَاءِ التَّقْوى وإخوَانِ الصَّلاَحِ:

اعلموا أحبائي في الله أن الطبع لص يسرق الخير والشر فمن كان جليسه صالحًا تحلى بالأخلاق الشريفة الرضية واستقام على الخصال الحميدة العلية لأن مادة حديثه الأقوال النبوية.

ويؤيد ذلك قوله ﷺ:

«الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[٤٥].

فاطلب أخا الإيمان لنفسك صديقًا صدوقًا بصيرًا متدينًا ونَصِّبه رقيبًا على نفسك لينبهك على المكروه من الأخلاق والأفعال.

وقد كان سلفنا الصالح يحبون من ينبههم على عيوبهم

= الله عنه.

وحسنه شيخنا حفظه الله في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٣٤٢) وهو كما قال.

(٤٥) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وأحمد (٣٠٣/٢ ، ٣٣٤)، وأبو داود الطيالسي (٤٧/٢ ـــ منحة المعبود) من طرق عن زهير بن محمد حدثني موسى بن وردان عن أبي هريرة مرفوعًا.

قلت: وهذا إسناد حسن إن شاء الله.

ونحن الآن ـــ وا أسفاه ـــ في الغالب أبغض الناس من يهدي إلينا عيوبنا.

وهذا دليل على ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة كالعقارب، ولو أن شخصًا حذرنا من عقرب أو أفعى لتقلدنا له مِنَّة، والأخلاق السيئة الرديئة أعظم ضررًا من الأفعى والعقرب كما لا يخفى.

فمن علت مرتبته في اليقظة زاد اتهامه لنفسه وطلب الناصح الأمين الذي عز في هذا الزمان وجوده لأنه قل في الأصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك السد فلا يزيد على قدر الواجب!

قال الفقيه أمين الدين:

عليك بأرباب الصدور فمن غدا
جليًّا لأرباب الصدور تصدرًا
وإياك أن ترضى بصحبة ساقط
فتنحط قدرًا من علاك وتحقرًا

وأورد المقري في «نفح الطيب» (٥/١٩٠) في ترجمة أبي القاسم الشريف الحسنى هذين البيتين:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

واعلم أيها الأخ المحب أن من فقد الصديق الصالح والصاحب المخلص فليستفد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فإن عين السخط تبدي المساوىء.

قال أبو حيان يوسف بن حيان النفري:

عدائي لهم فضل عليَّ ومنَّة
فلا أبعد الرحمن عني الأعاديا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها
وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

١٧ ـ أحاديثُ لا أصلَ لها
أو موضوعةٌ في مَكَارِمِ الأَخلاَقِ [٤٦]

زعم بعض الناس أن مكارم الأخلاق تثبت بالأحاديث الضعيفة لأنها من باب الفضائل وهذا الظن مردود في غير هذا الموضع، ولكن الذي يثير المسلم غضبًا لله ورسوله أن يصبح هؤلاء القوم يكتالون الأحاديث الواهية من كل حدب وصوب حتى أنهم روجوا أحاديث لا أصل لها أو موضوعة ضعيفة جدًّا، ودونك بعضها لتحذرها وتُحذر منها لئلا يقع المسلمون في الكذب على رسول الله ﷺ.

١ ـ ١٧ ـ سوءُ الخُلُقِ ذَنْبٌ لا يُغْفَر:

لا أصل له: أورده الغزالي رحمه الله في «إحياء علوم الدين» (٥٢/٣).

---

(٤٦) الأحاديث التي ليس لها أصل مأخوذة من كتابي «القول الفصل في =

٢ ـ ١٧ ـ تَخَلَّقُوا بِأَخلاَقِ الله:

لا أَصل له: أَورده ابن أَبي العز الحنفي في «شرح العقيدة الطحاوية» (ص١٢٠)، والسيوطي في «تأْييد الحقيقة العلية» (ص٨٩/١) دون إسناد ولم يعزواه لأَحد.

٣ ـ ١٧ ـ إنَّ أَحسَنَ الحَسَنِ الخُلُقُ الحَسَن:

موضوع: انظر «سلسلة الأَحاديث الضعيفة والموضوعة» (٧٦٨).

٤ ـ ١٧ ـ سوءُ الخُلُقِ شُؤْمٌ وشِرَارُكُم أَسوَؤُكم خُلُقًا:

موضوع: انظر «سلسلة الأَحاديث الضعيفة والموضوعة» (٧٩٥).

٥ ـ ١٧ ـ الخُلُقُ الحَسَنُ يُذيبُ الخطَايا كَمَا يُذِيبُ الماءُ الجَلِيدَ، والخُلُقُ السُّوءُ يَفسِدُ العَمَلَ كما يُفْسِدُ الخُلُّ العَسَلَ:

ضعيف جدًّا: انظر «سلسلة الأَحاديث الضعيفة

= الأَحاديث التي ليس لها أَصل وأَثرها السيء في العقيدة والفقه والأَخلاق» باختصار.

والموضوعة» (٤٤٠ و٤٤١ و٤٤٢).

٦ - ١٧ - مَكَارِمُ الأَخْلاَقِ عَشْرةٌ تكون في الرَّجُلِ ولا تكون في ابنه، وتكون في الابن ولا تكون في أبيه، وتكون في العَبْدِ ولا تكون في سَيِّدِه، فقسمها الله عزَّ وجلَّ لمن أراد السَّعَادَةَ: صدقُ الحديثِ، وصدقُ البَأسِ، وحِفْظُ اللِّسانِ، وإعطاءُ السَّائلِ، والمُكَافَأَةُ بالصَّنائِعِ، وأداءُ الأَمَانَةِ، وصِلةُ الرَّحِمِ، والتَّذَمُّمُ من الجار، والتَّذَمُّمُ للصّاحِبِ، وإقراءُ الضيفِ، ورَأسُهُنَّ الحَيَاءُ:

ضعيف جدًّا: انظر «سلسلة الأَحاديث الضعيفة والموضوعة» (٧١٩).



فهرست المواضيع والفوائد

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

طبع بمطابع دار طيبه ــ الرياض ــ السويدى ــ شارع الثلاثين
ص . ب ١٠٦٠٤ ــ ت : ٤٢٥٢١٩٥


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



مكـارم الأخـلاق



طبع بمطابع دار طيبة ـ الرياض ـ السويدي ـ شارع الثلاثين
ص . ب ١٠٦٠٤ ـ ت : ٤٢٥٢١٩٥

